الرياض

حروف وأفكار

الأمير عبدالله وزيارة الأحياء القديمة

عبدالله السنيدي

ذكّرتنا زيارة صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله لبعض الأحياء القديمة، بالعاصمة الرياض بجزء مضيء من تاريخنا الإسلامي المجيد، ذلك التاريخ الذي ينظر لمسؤولية الحاكم بأنها مسؤولية تكليف وليست تشريفاً، وأنها مسؤولية أمانة ورعاية وليست تسلطاً ورفاهية، فقد قام سمو ولي العهد بتلك الزيارة التي تعتبر نادرة من نوعها فتجول في تلك الأحياء ودخل منازلها واطلع عن قرب على أوضاع ساكنيها (فليس من رأى كمن سمع) لقد فوجئ سكان تلك الأحياء من الاخوة المواطنين بتلك الخطوة الميمونة ولم يدر بخلد أحد منهم أن شخصية في مستوى ولي العهد سوف يدخل منازلهم يوماً من الأيام، إن هذا بحد ذاته قد أدخل السرور والطمأنينة في نفوس أولئك المواطنين وأشعرهم بأن أوضاعهم في الصورة ومحل الاعتبار خاصة وأن سموه قد أكد بأن زيارته لهم ليست من باب الرياء أو الظهور بل نابعة من إحساس المسؤول تجاه مسؤوليته الكبيرة وإحساس المواطن تجاه مواطنيه ولذلك ناشد سموه رجال الأعمال والموسرين في المساهمة فيما سوف تبذله الدولة لمعالجة أوضاع الفقراء والمعوزين من المواطنين، ورغم ما يعانيه أولئك المواطنون من ضيق ذات اليد فقد كشفوا عن معدنهم الأصيل في حبهم لوطنهم وقيادتهم فقد شاهدنا وسمعنا دعوات أولئك المواطنين لقيادتهم بالتوفيق والخير وترحيبهم بسموه ودعوتهم لضيافته وهو دليل على طيبة وشهامة شعبنا العظيم والتصاقه بقيادته الرشيدة.

إن الخطوة الموفقة التي قام بها سمو ولي العهد وفقه الله لم تكن مفاجئة لاخواننا المواطنين في تلك الأحياء فحسب بل إنها فاجأت المجتمع السعودي كله وكانت محل ترحيب وثناء وتقدير سائر المواطنين عندما رأوا الالتحام بين القاعدة والقمة وينبغي أن تكون تلك الخطوة قدوة للمسؤولين من وزراء ونحوهم بأن يكون العمل الميداني والمتابعة عن قرب هي ديدنهم فما قام به سموه يعيد لأذهاننا ما كان يقوم به الخلفاء الراشدون وبالذات عمر بن الخطاب رضي الله عنه من متابعة لأحوال رعاياهم بصفة شخصية للوقوف على أوضاعهم وتقديم العون لهم ومن ذلك ما روي ان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب ذات يوم إلى بيت عجوز فقيرة من أجل تقديم العون لها فقالت (لقد كان عندي منذ قليل من أعطاني) وتكرر ذلك منها كلما جاء إليها عمر رضي الله عنه فترصد عمر رضي الله عنه بباب تلك العجوز ليرى من ذلك الرجل الذي يسبقه بالإحسان لتلك المرأة فحضر ذلك الرجل مخفيا شخصيته الحقيقية ودخل منزل العجوز فلما خرج تبعه عمر فرفع عن ذلك الرجل اللثام الذي كان يخفي شخصيته فإذا هو الخليفة الراشد ابوبكر الصديق رضي الله عنه فقال له عمر الفاروق (والله ما علمت انه لا يسبقني إلى ذلك الخير غيرك) فالصدّيق الذي قال فيه عمر هذا القول لمعرفته الجيدة به كان يعتبر من الأثرياء الا انه بعد إسلامه لم يبال بالمال أو الثراء فقد أنفق جميع أمواله في سبيل الله من تجهيز للمعارك وتحرير العبيد من المسلمين إلى درجة انه عند وفاته لم يترك سوى بعير واحد ومحلب للبن وعباءة كان يستقبل فيها الوفود القادمة اليه مما دعا عمر رضي الله عنه بعد أن علم بذلك للبكاء والقول (لقد أتعب كل الذين يجيئون بعده) إذاً فعمر رضي الله عنه إيمانا منه بأنه لا ينبغي أن يحتجب الحاكم عن شعبه ويعتمد في قراراته التي تخصهم على معاونيه فقط كان يمشي في الأسواق ويعس بالليل، ويطلع على أحوال الرعية عن قرب، وقد وجد يوما امرأة من الأنصار تحمل قربة ماء ثقيلة فحملها عنها ثم أمر بخادم ونفقة ووجد مرة أخرى امرأة مع أولادها يعانون من الجوع فقام رضي الله عنه بإعداد الطعام لهم بنفسه وكان عمر رضي الله عنه اضافة لذلك يأخذ بسياسة الباب المفتوح سواء بالنسبة له أو لولاته في الاقاليم وكان يحاسب الولاة الذين يحتجبون عن الناس.

ان تلك الخطوة الجريئة التي قام بها سمو ولي العهد بزيارته لأحياء المعوزين من أبنائه المواطنين ليست بغريبة على طباع وسجايا سموه فالجميع يعرف عن سموه العديد من الخصال الكريمة ومنها:

@تواضعه الجم مع المواطنين صغيرهم وكبيرهم رجالهم ونسائهم.

@فتح سموه أبواب قصره ومكتبه لسائر المواطنين للسلام عليهم والاستماع الى مطالبهم.

@جديته في العمل ومتابعة وحث المسؤولين والموظفين على أداء اعمالهم بالجد والاخلاص وأن تحجب المزايا الوظيفية عن المقصرين في ذلك.

@حرصه على متابعة الأعمال واللجان والتعليمات وأن يتم إنجازها في الوقت المحدد وحسب الضوابط المطلوبة.

@تعظيمه لدين الله وكتابه الكريم وهو ما يلاحظ من تأكيد سموه على الاستمرار في التمسك بالعقيدة الاسلامية وحرصه على الاستماع في مجلسه العام للقرآن الكريم وتفسيره.

إذاً انها الخصال والسجايا التي كان يتصف بها رموز تاريخنا الاسلامي الزاهر كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فسياسة الباب المفتوح والحرص على أداء الأعمال ومتابعة إنجازها وتشجيع ذوي الكفاءة من العاملين المخلصين، والنزول للميدان لتفقد أحوال المواطنين والاستماع الى مطالبهم، وتعظيم دين الله وكتابه الكريم كما كانت تلك خصال وصفات رموز القيادات التاريخية الاسلامية، فانها اليوم لا تزال قائمة وسارية لدى قيادتنا الرشيدة، فالخطوة التي قام بها سمو ولي العهد وإن كانت مفاجئة الا انها بادرة صحية وعبقرية نادرة لا تصدر الا من ذوي النفوس الكبيرة، فتلك البادرة سوف تسفر بإذن الله عن العديد من الإنجازات النافعة والتحولات الكبيرة من أهمها تقوية التلاحم بين الدولة والمواطن، والتعاون والاخاء بين المواطنين، ومعالجة قضايا المعوزين.

إن فجراً جديدا سوف يشرق على اخواننا سكان تلك الأحياء، وسوف ترتفع نسبة الوعي والاحساس بالمسؤولية والمتوقع ان الدولة ايدها الله سوف تخصص قدرا من الانفاق في هذا المجال وقد تقوم باعادة تخطيط وتعمير تلك الأحياء اما الموسرون وغيرهم فسوف يتدافعون في التبرع والمساهمة إما عن طريق اقامة مساكن لأولئك المواطنين كما فعل سمو الأمير الوليد بن طلال بن عبدالعزيز أو عن طريق الانفاق المادي لصالح الصندوق المقترح أو تهيئة فرص عمل لشباب تلك الأحياء فأبناء الوطن ليسوا بأقل ممن تشرفنا بمساعدتهم من اخواننا العرب والمسلمين وغيرهم.

وفق الله مليكنا وسمو ولي العهد وسمو النائب الثاني حفظهم الله لما فيه خير ديننا وبلادنا وشعبنا.